

Article History

Received/Geliş
25 /4/2018

Accepted/ Kabul
29 /4/2018

Available Online / Yayınlanma
30 /4/2018

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

الملخص

تتلخّص أهمية هذه الدراسة في استنباط ما ورد فيها من مضامين تربوية، قد تنعكس إيجاباً على واقع المجتمع الإنساني؛ لا سيما أنّها قد خصّصت لنصّ قصصيّ روّته خولة بنت ثعلبة عن ظهار زوجها منها. من المؤمّل أن تُسهّم في تشجيع وإثراء حركة البحث العلميّ في مجال الدّراسات الإنسانية التي تُعنى بالتأصيل العلميّ التربويّ، وهو مجالٌ يحتاج إلى مزيدٍ من الاهتمام من التّربويّين، وطلّاب الدّراسات العليا لسدّ النّقص الذي يُلحظهُ الباحث في عدم الاهتمام باستخراج المضامين التّربويّة التي وُردت في قصص صَدْر الإسلام. تُهدف الدراسة إلى التّعريف على المضامين التّربوية في قصة ظهار أوس بن الصّامت من خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنهما)، واستخراجها من العبارات والنصوص التي وردت في ثنايا القصة.

تناول الباحث بالدّراسة والتّحليل بعض عبارات القصة ونُصوصها مستعيناً بمنهج استنباطيّ تحليلي؛ فجاءت في خمسة مباحث، اشتملت على أساسياتها، وإطارها النّظريّ؛ مع ثلاثة مباحث أُخرى؛ تناولت التّحقّق من فروضها.

توصّلت الدّراسة إلى عددٍ من النّتائج، تُمثّل مضامين تربوية عديدة منها:

1. الرّوحيّة لها أن تُراجع زوجها - تُناقشه - في كلّ شأن، وتُبدّي وتُعيد إن حدث ما لم يروق لها من سلوكه أو قوله.
2. ليس للزوج أن يطّلب زوجته عن نفسها إذا لم تكن في حالة نفسية هادئة، وانفعالية مستقرّة.
3. تحنّك المرأة عند من تشاء ممن يُوثق بهم؛ إن وقع لها ظلمٌ من زوجها، أو تعدّ منه على علاقتهما الرّوجية.
4. التّحلّي بأداب الحوار أثناء طرّح الشّكوى، ووجهات النّظر.
5. التّواضع ولين الخطّاب؛ يُلزِمَان من يقومُ بدور إصلاح ذات البين، التّخلّق بهيماً.
6. المناصرة المعنوية، والمساهمة المادية؛ ضروريّتان ممن يتصدّر مواقف الإصلاح، وحلّ المشكلات بين الأفراد.
7. تدخّل الحكماء والعقلاء للإصلاح بين الأزواج يُسهّم في تجاوز ما يقع بينهما من خلافٍ.
8. اللجوء إلى الله تعالى عند الشّدائد؛ يزيل العُبن، والهَم، والحزن.

توصيات الدراسة: 1- تتبّع قصص التراث الإسلامي التي تتناول المعاملات الزوجية الراشدة والتوافق الأسريّ، واستنباط ما فيها من محتويات تربوية تُساعد على استقرار المجتمع، وتماسك مكوناته. 2- أن يتولى التّربويّون، والآباء؛ تركيز وترسيخ مفاهيم التّعقل، الحكمة، والحذر قبل اتّخاذ أيّ قرارٍ مفصلةٍ زواجية.

The educational contents in the story of the "Sahabi OUSE`S ZIHAR from his wife KHAWLA"

(may Allah be pleased with both).

Dr. Ibrahim el-Khidir el-Hassan – Sudan.

ABSTRACT

The importance of this study is summed up in extracting its educational contents which may positively be reflected in the reality of human society taking into consideration that it is restricted to a story text narrated by Khawla`s case of ZIHAR done by her husband. This study is hoped to encourage scientific research in humanities that cares for educational organization, an area of study that needs more concentration by educational researchers and postgraduate students, so as to bridge the gap of neglecting this area as the present researcher observes. The study aims at acknowledging the educational content of the story of ZIHAR case.

The researcher handled the story text using analytic extractions method in five sections comprising the basics of the study, its theoretical framework in addition to three other sections.

The study arrived to the number of findings the most important of which are:

1. The wife has the right to discuss with her husband anything she does not agree with.
2. The husband has no right to force his wife for bed unless she has the mood.
3. If the wife is maltreated by husband, she has the right to seek a trust full person for judgment.
4. In seeking judgment one has to abide by the rules and norms of dialogue and discussion.
5. The mediator should be decent and lenient in his address while solving the dispute.
6. The mediator has to offer and financial help and other support while mediating in the dispute.
7. Mediating by wise and reasonable persons contribute to better solving the dispute.
8. Resorting to Allah (in the true copy).

Recommendations:

1. Making use of Islamic heritage stories which handle marital and family adjustment, and extracting its educational contents which help achieving stability and solidarity.
2. Educators and parents have to advise children, youth concentrating on the concepts of reasoning, wisdom and caution in any arising divorce problem.

المبحث الأول:

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

المقدمة:

قصص صدر الإسلام التي قصها صحابة رسول الله ﷺ بجانب القصص القرآني، وقصص الحديث النبوي، تشكل أساسا إيمانيا وتربويا للمسلمين في العصور كافة، وقصة ظهار الصحابي أوس بن الصامت من الصحابية خولة بنت ثعلبة واحدة من تلك القصص التي حكمتها خولة بنفسها؛ وهي قصة بجانب أهميتها الأخلاقية والاجتماعية تشتمل على مضامين تربوية نافعة، تستحق الوقوف عندها، والاستعانة بها في المعاملات الأسرية، والمواقف التعليمية، والإرشاد النفسي التربوي والمجتمعي؛ ذلك لأن ممارسة الصحابة لحياتهم الخاصة والعامة، وكيفية مواجهتهم لما اكتنف واقعهم من أحداث ومواقف، وطريقة حلهم لما اعترضهم من مشكلات وعقبات؛ تمثل النموذج التربوي

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

الأكمل للاقتداء به، ويظل إنزاله على واقع الحياة الحاضرة وشؤونها العامة مثلاً يساعد على الاستقامة الذاتية، ويؤدي إلى تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية والتعبدية التي من أجلها خلق الإنسان. ولاسيما أن موضوع القصة التي بين يدي القارئ الكريم يتناول مضامين تربوية عديدة منها اللين في الخطاب، واللفظ في المعاملة، والثبات على المبدأ، والتغلب على هوى النفس، والتمسك بالاستعانة، واللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد، وأدب الحوار، والمناصرة لحل مشكلات الغير، وإصلاح ذات البين، وغير ذلك مما سنتناوله الدراسة الحالية بالتفصيل والتفسير لتحقيق ما تمّ تحديده من أهداف وفروض.

أهمية الدراسة:

يتوقع كاتب الدراسة أن يدفع هذا الموضوع قراءه من الباحثين التربويين، وطلاب الدراسات العليا إلى التوجه نحو الاهتمام بالقصص القرآني، وقصص صدر الإسلام مما قصه صحابة رسول الله ﷺ بغرض دراسة، واستنباط ما ورد فيها من مضامين تربوية، تنعكس إيجاباً على واقع المجتمع الإنساني، وخاصة إن الدراسة الحالية حُصِّصَتْ لنصّ قصصي روته خولة بنت ثعلبة عن ظهار زوجها منها، وهو نصّ يرتبط بحياة الأسرة التي هي نواة المجتمع الأولى، وأساسه الذي يتطلب التماسك والسكينة الزوجية.

من المؤمل أن تسفر القصة عن مضامين تربوية عديدة؛ قد تسهم في تشجيع وإثراء حركة البحث العلمي، والتأليف في مجال الدراسات الإنسانية التي تُعني بالتأصيل العلمي والنفسي التربوي.

مشكلة الدراسة:

هناك حاجة لسدّ النقص الذي يلحظه الكاتب في الدراسات التي تهتم باستخراج المفاهيم والمحتويات التربوية من قصص صدر الإسلام، وهو مجال واسع للبحث العلمي التربوي، غفلت عنه العديد من كتب التراث والمؤلفات التربوية ذات الأصالة والابتكار؛ مما دفعه لتناول قصة الظهار التي قصتها الصحابية خولة (رضي الله عنها) كأمّ نموذج لمشكلة معرفية اجتماعية تستحق الوقوف عندها للكشف عما تتضمنه من معاني ومحتويات تربوية؛ يمكن صياغتها في السؤال المحوري الآتي:

ما المضامين التربوية التي اشتملت عليها قصة خولة بنت ثعلبة عن ظهار زوجها أوس بن الصامت منها؟.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على المضمون التربوي الذي اشتملت عليه بداية القصة، وذلك في نشوء النزاع الأسري بين خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت.
2. الكشف عن المضمون التربوي من حادثة نقل خولة لنزاعها الأسري مع زوجها إلى إطار خارجي بذهابها إلى جارها ثم إلى الرسول ﷺ .
3. الوقوف على المضمون التربوي في الأسلوب الذي خاطبت به خولة رسول الله ﷺ أثناء طرحها لقضيتها الأسرية.
4. التعرف على المضمون التربوي في الكيفية التي استقبل بها الرسول ﷺ خولة بنت ثعلبة في داره.
5. التعرف على المضمون التربوي في قوله ﷺ لخولة في مبتدأ حوارها معها: (يا خويلة، ابن عمك، شيخ كبير، فاتق الله فيه).
6. التعرف على المضمون التربوي في قوله ﷺ لخولة بعد رضاها بحكم الله تعالى، واسهامها في حلّ النزاع مع زوجها: (أصبحت وأحسن، اذهبي وتصديقي به عنه، واستوصي بآبن عمك خيراً).

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

فروض الدراسة:

1. يوجد مضمون تربوي اشتملت عليه بداية قصة الظهار التي روتها خولة (رضي الله عنها)، وذلك في نشوء النزاع الأسري بينها وبين زوجها أوس بن الصامت.
2. يوجد مضمون تربوي في حادثة نقل خولة لنزاعها الأسري إلى إطار خارجي بذهابها إلى جارتها ثم إلى الرسول ﷺ .
3. يوجد مضمون تربوي في الأسلوب الذي خاطبت به خولة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ أثناء طرحها لقضيتها.
4. يوجد مضمون تربوي في الكيفية التي استقبل بها الرسول ﷺ خولة (رضي الله عنها) والاستماع إليها، والتعرف على مشكلتها الأسرية.
5. يوجد مضمون تربوي في قوله ﷺ لخولة في مبتدأ حوارها معها: "يا خويلة، ابن عمك، شيخ كبير، فاتق الله فيه" وذلك في كل من: أ/ "يا خويلة". ب/ "ابن عمك". ج/ "شيخ كبير". د/ "فاتق الله فيه".
6. يوجد مضمون تربوي في قوله ﷺ (أصبت وأحسنت، أذهبي وتصدقي به عنه، واستوصي بآبن عمك خيراً). وذلك في قوله ﷺ : أ/ "أصبت وأحسنت". ب/ "استوصي بآبن عمك خيراً".

منهج الدراسة:

يختار الكاتب المنهجين الوصفي والاستنباطي؛ اللذين يرى أنهما يساعدان على استخراج وتحديد المعلومات والمضامين المستهدفة من نص القصة المقصودة بالدراسة الحالية، وهي: قصة ظهار أوس من خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها) ... ذلك لأن النصوص والشواهد التي تُستخرج منها المحتويات والمضامين التربوية، تحتاج إلى استنباط وتحليل وتفسير، مما يوفر المنهجان المختاران لهذه الدراسة؛ للوصول إلى نتائج، بعد الإيفاء بمطلوبات دراسة النص المستهدف.

مصطلحات الدراسة:

المضمون: المحتوى، ومنه مضمون الكتاب وما فيه، ومضمون الكلام: فحواه، وما يفهم منه. والجمع: مضامين.⁽¹⁾

التربوي: من ربا الشيء ربواً. وربا ربواً: نما وزاد، وفي التنزيل العزيز: ﴿وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ الحج: (5) . أي زادت.

ويقال: ربا المال: زاد وعلا وارتفع، وفي بني فلان ربا: أي نشأ.

ورباه: نمّاه، غذّاه، نشأه ونمّاه فواه الجسدية والعقلية والخلقية.

وتربى: تنشأ وتغذى وتتقف.⁽²⁾

المضمون التربوي:

(1) المعجم الوسيط: إخراج الدكتور أنيس و(آخرون)، ج2، دار الفكر، (د ت)، ص326.

(2) المصدر السابق، ص356.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

إجرائياً، ولغرض هذه الدراسة يقصد الكاتب بالمضمون التربوي: المحتوى التربوي الذي تضمنته بعض العبارات والنصوص المختارة من القصة التي روتها خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها) عن ظهار أوس بن الصامت (رضي الله عنه) منها، وذلك بما يتوافق مع ما ورد من أهداف الدراسة والتحقق من فروضها.

الظهار: ورد في المعجم الوسيط: ظاهر امرأته، ومنها: قال لها: أنت عليّ كظهر أمي. أي أنت عليّ حرامٌ. وكان هذا طلاقاً في الجاهلية، فنهى عنه الإسلام.⁽¹⁾

وفي أساس البلاغة: (ظ، ه، ر): رجل مُظَهَّرٌ: قَوِيُّ الظَّهْرِ، وظاهر من امرأته، وظاهر منها.⁽²⁾

وفي حاشية مفتاح فهم القرآن: يظهرون من نسائهم يجرمونهن تحريم ظهور الأمهات، فيقول لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي.⁽³⁾

إجرائياً: يقصد الكاتب بمصطلح (الظهار): ظهار أوس بن الصامت من زوجته خولة (رضي الله عنهما) حين غضب من (مراجعتها) له، فقال لها: "أنت علي كظهر أمي"⁽⁴⁾، فكان ردُّ الله تعالى على ما قال بأربع آيات في صدر سورة المجادلة بأنه - أي مثل هذا القول - منكر وزورٌ، ولقائله أن يُكفِّر عنه، إما بأن يعتق رقبة، أو أن يصوم شهرين متتاليين، أو أن يطعم ستين مسكيناً.

المبحث الثاني

شخصيات القصة وآيات صدر سورة المجادلة

الصحابي أوس بن الصامت ؓ:

هو الصحابي أوس بن الصامت، بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم ابن عوف من الخزرج، أخوه عبادة بن الصامت الصحابي، الذي أسلم في بيعة العقبة الأولى. أخى رسول الله ﷺ بين أوس ومرثد بن أبي مرثد الغنوي. شهد أوس مع النبي ﷺ بدرًا، والمشاهد كلها. ظاهر من زوجته خوله وهو شيخ كبير، فنزلت فيهما آيات صدر سورة المجادلة - قد سمع -.

قال ابن حبان: توفي أوس في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ بالرملة بفلسطين، وله خمس وثمانون سنة، وقال غيره: مات سنة 34هـ بالرملة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.⁽⁵⁾

الصحابية خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها):

هي خولة بنت ثعلبة الخزرجية، وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم ابن فهر بن غنم. اشتهر أمرها بظهار زوجها أوس منها، بعد أن راجعته في أمر، فغضب منها قائلاً لها: أنت علي كظهر أمي. فنزل الوحي في شأنها بعد مجادلتها للرسول ﷺ ومحاورتها له، وشكواها إلى الله تعالى.⁽⁶⁾

(1) المصدر السابق، ص578.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري: جار الله، دار المعرفة، (د. ت)، بيروت، ص291.

(3) القرآن الكريم وحاشيته، مفتاح فهم القرآن، أحمد علي الإمام، دار مصحف إفريقيا، الخرطوم، 2000م، ص542.

(4) ورد نص القصة كاملاً في ملحق هذه الدراسة، ص: 26

(5) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990م، ص342.

(6) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، المكتبة المصرية، مج1، ص306. ومعجم الصحابة لابن قانع 30/1.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها):

هي السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، وهي ابنة صاحب رسول الله ﷺ في الغار، ورفيقه في الهجرة إلى المدينة، وخليفته الأول.

تزوجها ﷺ في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بنت زمعة بسنة، وقبل الهجرة بستين وخمسة أشهر، كانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، توفي ﷺ في حجرها، ووُوري الثرى في حُجْرَتِهَا.⁽¹⁾

آيات صدر سورة المجادلة بشأن الظهار من خولة (رضي الله عنها):

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ تِجَادَلِكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ، إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتُهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا، ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلِكُ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * المجادلة: (1-4).

معاني المفردات:

جاء في المعجم الوسيط: جادله جدالاً ومجادلة: ناقشه وخاصمه. وفي التنزيل (جادلهم بالتي هي أحسن) النحل: (125). الجدل: طريقة في المناقشة والاستدلال.⁽²⁾

المنكر: كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبه، أو يقبحه الشرع، أو يجرمه، أو يكرهه، وفي التنزيل العزيز: "وينهى عن الفحشاء والمنكر"⁽³⁾.

يذكر الإمام: تجادل: تحاورك وتراجعك الكلام. تحاوركما: محاورتكما.. مراجعة القول⁽⁴⁾

يذكر مخلوف: منكرًا من القول: فظيماً منه، ينكره الشرع والفعل، وزوراً: كذباً باطلاً منحرفاً عن الحق. يتماسا: يستمتعا بالوقوع، أو دواعيه.⁽⁵⁾

سبب النزول:

يقول جاد المولى وآخرون في سبب نزول آيات صدر سورة المجادلة: إنَّ أوساً بعد أن ظاهر من خولة، قررت أن تذهب إلى النبي ﷺ لتخبره بما حدث من زوجها وتشتكي إليه حالها، وبعد حوار وجدال قال لها ﷺ: "ما عندي في أمرك شيء". فالتجأت إلى من تسع

(1) الرحيق المختوم، المبارك فوري، ط2، دار القلم، بيروت، (دبت) ص455.

(2) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص111.

(3) المصدر السابق، ص952.

(4) القرآن الكريم وحاشيته مفتاح فهم القرآن، مرجع سابق، ص542.

(5) كلمات القرآن تفسير وبيان، حسين محمد مخلوف، دار المستقبل، بيروت، لبنان، 1956م، ص ص: 307-308.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

رحمته كل شيء؛ ترجو أن يزيل همها وغمها، وقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووجدني... وأكثر من التضرع... فإذا بالوحي ينزل على رسول الله ﷺ، فنطق لسانه بالذكر الحكيم... فأخبرها بأن الله تعالى استجاب لدعائها وشكواها، وقرأ عليها الآيات التي جاءت بشأن ظهار أوس منها⁽¹⁾

أما السعدي فيقول في سبب نزول آيات المجادلة في شأن الظهار منها: إن الآيات نزلت في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الرسول ﷺ لما حرّمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة والأولاد، وكان هو رجلاً شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت.⁽²⁾

الظهار:

يقول ابن كثير: الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته؛ قال لها: أنت علي كظهر أمي، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة. ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف. وقال سعيد بن جبير: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة (رواه ابن أبي حاتم)⁽³⁾.

ظهار أوس من خولة ﷺ كان أمودجاً لممارسة نوع من الطلاق؛ وضرباً من ضروب المفارقة الأبديّة، وقع عليها، فلم تستسلم، بل قامت بخطوات سليمة متسارعة أدت إلى عودتها إلى بيتها فرحةً مسرورةً راضية، فكان لها شرف السبق في أن يصير منكرًا وزورا من القول على مر الزمان بأمر إلهي وتنزيل مقدس.

الطلاق:

إذا كان الظهار الجاهلي أمراً منكرًا ونوعاً من الكذب والافتراء والتعدي على حقوق الزوجية؛ فإن الله تعالى قد أباح الطلاق لإنهاء الرباط الزوجي، إن تعثر البقاء والتوافق بين الرجل وصاحبه. وجعله حقاً بيد الزوج، ولكنه ليس حقاً مطلقاً يمارسه متى شاء، وكيفما يشاء؛ بل هو دور يقوم به الرجل ويؤديه عند الضرورة القصوى، واضعاً في اعتباره أنه أبعض الحلال إلى الله تعالى، وليس كما هو الحال عند كثير من مجتمعات اليوم قائم على نزعة نفسية انفعالية مفرطة؛ يمارسه الرجل لأبسط الأسباب، وبغير تفكير في عواقبه وآثاره المدمرة على العلاقات الأسرية، وتربية البنين، و تماسك نسيج المجتمع والعائلة، ودون إتاحة الفرصة للخيارات الوافرة التي تساعد على تجنبه مثل: قوله تعالى: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ (النساء: 35)، وبغير ضبط للنفس، وتحكيم للعقل، ومراعاة للنشء، وإعمال للاستخارة، وغيرها من خطوات أخرى عددها بعض العلماء وأحصوا منها أكثر من عشرة بدائل إيجابية لتجاوزة كقرار صعب بغيبض، ولتقليل كفة خيار إبقاء الأسرة الزوجية، ولمّ شمل الأسرة؛ على أي خيار آخر يؤدي إلى تشتيتها وتفريق أطرافها.

(1) قصص القرآن الكريم، جاد المولى محمد أحمد (وآخرون)، دار الفكر، (د.ت)، ص 464 - 465.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (تحقيق عبدالرحمن اللويحق)، مؤسسة الرسالة، 1419 هـ ص 844.

(3) مختصر تفسير ابن كثير، محمد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط7، 1402 هـ - 1981 م، ص 459-460.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

المبحث الثالث

المضمون التربوي في بداية نشوء النزاع الأسري بين خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس (رضي الله عنهما):

يتضح من سياق بداية القصة التي رواها الإمام أحمد⁽¹⁾ - رحمه الله - عن خولة بنت ثعلبة أن زوجها دخل عليها يوماً فراجعته بشيء، فحدث ما حدث من ظهار، قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً، وقد ساء خلقه، فدخل عليّ يوماً، فراجعته بشيء، فقال: أنت عليّ كظهر أمي.

لم يحتمل مراجعتها، علماً بأن المراجعة هذه كانت من عادة نساء الصحابة رضوان الله عليهن، مما ورد في صحيح البخاري. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: صَحِبْتُ عَلِيَّ امْرَأَتِي فَرَجَعْتَنِي - ناقشتني في موقف -، فأنكرتُ أن تُراجعتني! قالت: ولم تُنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ليراجعنه⁽²⁾. وهو حديث يتوافق مع قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يفرك - أي لا يبغض - مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر"⁽³⁾.

فالمراجعة والحوار حق للزوجة، وليس للزوج أن يمارس على مراجعتها له منكرًا، أو يُنكر أن تراجعها، وهذا مفهوم تربوي، ينبغي أن يُنشأ عليه الشباب من المقبلين على الزواج ومن أمثوا مراسمهم وغيرهم.

لم يطق أوس مراجعتها، ولم يعجبه ما راجعته به، والمراجعة هنا أخذ ورد وجذب وشد، نتج عنها تصعيد مبالغت فجائي لمشكل أدى إلى فراق أبدي، وحالة تصدع أسري؛ لا يمكن الرجوع بعدها؛ وفق التقليد الجاهلي القديم، الذي عفا عليه الزمن، ولم يحن إسقاطه بعد من الدين الجديد!.

غادر أوس داره بعد ما وقع من مفاصلة بينه وبين زوجته، وتوجه إلى نادي قومه، ثم ما لبث أن عاد إليها؛ يريد لها عن نفسها ناسيا ما جرى، متجاوزا ما وقع، ولعل موقفه هذا يشير إلى أن الرجل - حتى وإن كان شيخاً كبيراً - وبما فُطِرَ عليه من ثبات وقوة تحملي، وخاصية عصمة؛ سرعان ما يتراجع، ويصفح، ويعفو، ويجنح إلى رأب الصدع، وتصحيح الخطأ، والعودة بالعلاقة الزوجية إلى ما كانت عليه من ودٍ والتحام.

هذا مضمون تربوي آخر ينبغي أن يفطن إليه جنس الرجال في تعاملهم الأسري، وأن يُعُوا ما فطرهم الله عليه من جلد، وثبات، وتحكم في النفس، وميزهم بسرعة التراجع والتنازل، وتجاوز حالة الغضب التي نهى عنها الإسلام.

قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

يبدو أن أوساً بعد أن تراجع عن غضبته، وندم على ما جرى، اندفع نحوها بقوة (فوائبي)! يريد أن ينال منها ما يبتغيه الرجل من زوجته، ولكن هيهات، فخولة بجانب ما تشعر به من ظلم وإهانة؛ فإن اليقظة التي تميزها، والوعي الذي يملأ جوانحها يدعوانها إلى رفض

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، ج6، (ب.ت) رقم الحديث: 26056.

(2) مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مكتب العلوم والحكم، ج9، 1424هـ - 2003م، رقم الحديث: 206.

(3) صحيح مسلم، كتاب الرضاع / 18 - باب الوصية بالنساء، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، حديث رقم 1469

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

طلب أوس، وإن دعا الأمر إلى استخدام القوة والعنف، فكان قرارها أن لا بد من التحري والتثبت مما حدث، ومن آثار ما وقع، والوصول إلى حل واضح، وقول فصل، وشاف للخطيئة التي ارتكبتها الزوج. فكان التصميم على عدم تمكينه لينال منها ما يشتهي ويهوى، وهي لا ترغب حتى في مجرد طرح المشكلة وإتاحة فرصة للحوار بينهما، بل دفعت به بعيداً عنها مستقلة قواها الجسدية التي تتميز بها على (الشيخ الضعيف) قالت: فوآئبني، فامتنت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني.

فقرار خولة وموقفها مما جرى، أن لا تساهل، ولا عفو، ولا تنازل إلا بعد التعرف على حكم الله ورسوله، قالت: "والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي حتى يحكم الله ورسوله فينا". فكان أن أقسمت برها مالك الأنفس، أن لا تمكثه من نفسها، وقررت تصعيد الأمر مرة أخرى للتعرف على مآلاته.

خولة هنا تُسدي مفهوماً تربوياً لطرفي العلاقة الزوجية، وهو عدم الاستسلام عند وقوع أي خلاف شرعي بينهما، وضرورة اختيار جانب حكم الله ورسوله، واللجوء إلى ما يقرره الشارع الحكيم، وتغليب على جانب هوى النفس، وتقديمه على الانصياع إلى الرغبة الذاتية، أو أي ذريعة أخرى، أي أن التحقق من حكم الشرع فيما يقع من خلاف زوجي سمة من سمات أهل الشخصية المؤمنة السوية، قالت: (حتى يحكم الله ورسوله فينا).

مفهوم تربوي آخر يمكن استنتاجه من هذه الواقعة التي جرت بين الزوجين؛ وهو ضرورة مراعاة الحالة النفسية، والاستعداد العاطفي والانفعالي للزوجة؛ عندما يريد الزوج عن نفسها، مع أهمية اختيار الزمان المناسب، واللحظة المواتية لمثل هذا الطلب. بجانب أنه في حالة المراجعة والنقاش بين الزوجين لا بد لهما أن يلتزما بالهدوء والموضوعية - خاصة الرجل صاحب العصمة والتعقل والصبر - كي لا يتطور الأمر إلى شقاق وفراق، ويصل إلى حالة يصعب الرجوع منها.

وانتهى الأمر بين خولة وزوجها إلى نقل القضية خارج الدار والذهاب بها إلى المري الأول، رسول الله ﷺ.

● المضمون التربوي من حادثة نقل خولة لنزاعها الأسري مع زوجها إلى إطار خارجي بذهابها إلى جارتها ثم إلى الرسول ﷺ:

كان أمر الظهار عند خولة أكبر من أن يحل بتفاوض داخلي في البيت، وأخطر من مجرد تنازل من زوجها، ورغبته في تسوية ثنائية بالتقرب منها، فتقرر الخروج، وتمنعه من الاقتراب منها، وتغادر دارها مسرعة لا تلوي على شيء. قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه.

تبدو هنا أهمية الجار الذي أوصى به الرسول ﷺ، وهو عند الشدائد عضد وسند وملجأ - وكأني بهذه الجارة تسألها عما جرى-، ولم يرد في القصة إن كانت فعلت ذلك أم لا، إلا أن الموقف يتطلب أن تستفهم منها عن سبب ما حدث، وأن تتعرف على ما دعاها للخروج من دارها بتلك الهيئة ودون أن تلبس ثيابها. استدعى الأمر أن تقف الجارة مع جارتها على كل حال، وما كان منها إلا تلبية طلبها، وتمكينها من ثوب ساتر تخرج به إلى مقصدها..

إن ذهاب خولة إلى جارتها، والاستعانة بها تتضمنان مفهوماً تربوياً يشير إلى أهمية الجوار، وإلى ضرورة حسن معاملة ساكنيه، مع ضرورة أن يفهم كل فرد أن الرسول ﷺ ما أوصى بالجار إلا لدوره المتعاضد والمهم في الوقوف عند الحاجة مع من يجاوره في حالي السراء والضراء، وإلا لأنه الأكثر قرباً من كل قريب، والأولى بالمعاملة الطيبة الخاصة من كل شخص آخر.. وقد لخص ﷺ ذلك في قوله: "ما زال

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"⁽¹⁾. وها هي خولة تلجأ إلى جارها في وقت حاجة وشدة، فتقضي الجارة حاجة خولة، وتلي طلبها الذي تريد، دون تردد أو تأخير.

● المضمون التربوي في الأسلوب الذي خاطبت به خولة رسول الله ﷺ:

أسرعت خولة إلى دار رسول الله ﷺ قالت: "تمَّ خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه". وفي الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عائشة رضي الله عنها عن شكوى خولة لرسول الله ﷺ قالت: "إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي عليَّ بعضه، وهي تقول - أي خولة - : يا رسول الله أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني..."⁽²⁾.

يُلاحظ أنَّ السيدة عائشة (رضي الله عنها) بالرغم من أنها كانت في ناحية البيت، قريبة من مكان حوار خولة مع رسول الله ﷺ، إلا أنَّها لم تُكذِّر تسمع كلَّ ما تقوله خولة.. قالت عائشة (رضي الله عنها): "وأنا في ناحية من البيت ما أسمع ما تقول"⁽³⁾، بالرغم من أن ذلك كان في جوف من الحوار والمجادلة والشكوى والتضرع والحزن، مما يتطلب رفع الصوت ونبرة السجال العالية، إلا أن صوتها - خولة - لا يكاد يسمعه من يجلس في ذات المكان من دار رسول الله ﷺ، وما ذلك - فيما يبدو - إلا لأنها قد تحلَّت بسمت هادئ، وصوت منخفض، والتزمت بأدب الحوار، وبجفاء بين، وبوقار واضح، مما يشير إلى تأدبها أمام رسول البشرية ﷺ، وضبطها لحديثها، وتركيزها على عكس ما جرى باحترام وثبات، وهنا مفهوم تربوي مهم وهو: على الفرد أو الجماعة التحلي بسمة التأدب والرزانة في مواقف الحوار والجدل، وتبادل الآراء، وطرح الحجج، والدفاع عن النفس، وضرورة أن يتحلى الشاكي، أمام من يلجأ إليه بالسمت الهادي، ويلتزم بالقول السديد الذي يعكس الاحترام والتقدير، والتربية السوية.

المبحث الرابع

المضمون التربوي في الكيفية التي استقبل بها الرسول ﷺ الصحابية خولة (رضي الله عنها) في داره

يقابل الرسول ﷺ خولة في داره بسماحة نفس، ويستمع إلى شكواها، ويصبر على مجادلتها، وهي تبدي وتعيد، ويقدم لها الرأي الهادف، الذي يؤدي إلى إقناعها، يجمع ولا يفرق، يناسب تخفيف مصابها، ويتوافق مع فطرتها وعاطفتها، وكأنه ﷺ يود أن يصل بأمته ويعلمها: أن من يريد من الناس أن يسمعوا منه، فعليه أن يستمع إليهم؛ وما ذلك إلا لأنه ﷺ - كما ذكر الصلابي: كان صلوات الله وسلامه عليه يقدر ظروف الناس، ويراعي أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطف في تصحيح أخطائهم، ويتفرق في تعليمهم الصواب.⁽⁴⁾

كان هذا حال رسول الله ﷺ؛ لأنه ﷺ صاحب الكمال البشري، والخلق الرفيع، والأدب الرباني الذي تلقاه من رب العزة والجلال. يقول البر: لقد راعى المعلم الأول - الرسول ﷺ - جملة المبادئ التربوية الكريمة، كانت توجيهاته غاية في السمو الخلقي، والكمال العقلي،

(1) سنن أبي داؤود، كتاب الأدب رقم الحديث: 5152، وسنن الترمذي، كتاب البر والصلة، رقم الحديث: 1943.

(2) سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق- باب الظهار، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، رقم الحديث: 2053.

(3) الأسماء والصفات للبيهقي، باب: ما جاء في إثبات صفة السَّمْع، أحمد بن الحسين بن علي، رقم الحديث: 389.

(4) السيرة النبوية، علي محمد الصلابي، مكتبة فياض، المنصورة، 2007م، ص495.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

وذلك في تعليقه على ما صدر من بعض أصحابه. جعل التوجيه يستقر في قلوبهم، وبقي ماثلاً أمام بصائرهم لما ارتبط به من معايير تربوية كريمة.⁽¹⁾

المضمون التربوي هنا أن من يريد السعي لإصلاح ذات البين؛ عليه أن يتمثل بأخلاق النبي ﷺ حين أشعرَ خولة بأنه لم يتضجر بحضورها لمقابلته، ولم ينزعج بمخاطبتها، وأنه لن يألوا جهداً لإيجاد حل منصف لمشكلتها. وليس لكل مصلح بين الناس إلا أن يتصف بتواضعه ﷺ وسعة صدره وسماحته تلك، وأن ينظر بتمعن في الكيفية التي قابل بها خولة في داره، وأدار معها حوار، ذاك الذي أفضى إلى توافق زواحي، ونهاية مرضية، وهذا سلوك نبوي راشد، يشير إلى مضمون تربوي واضح، وهو أن التواضع ولين الخطاب والحكمة وسعة الصدر سمات تربوية إنسانية، تحتاجها شخصية الوسيط للقيام بمهمة إصلاح ذات البين وحل المشكلات الأسرية.

● المضمون التربوي في قوله ﷺ لخولة في مبتدأ حوارها معها: (يا خويلة، ابن عمك، شيخ كبير، فاتق الله فيه).

عرضت خولة (رضي الله عنها) شكواها، وشرحت ما وقع عليها من زوجها، فإذا برسول الله ﷺ الذي أعطى جوامع الكلم؛ يقول لها تلك العبارة الشاملة التي تتضمن معاني ومفاهيم تربوية جامعة، وهو يحضها على العفو، ويرغبها فيه، مراعيًا حالتها النفسية؛ ومخاطبها تليفاً بأحب الأسماء إليها: "يا خويلة". ويخصها بذات النهج الذي كان يخاطب به زوجاته، ويعاملهن به، وهو منهج عام، وسنة فعلية وقولية للمسلمين كافة، وتوجيهاً تربوياً لهم ليعيشوه في واقع حياتهم الزوجية والعامية.

قد كان ﷺ في ذكره لأسماء من يخاطب من زوجاته؛ يرخّم، ويصغّر، ويُدلّل، ويكثّر، وشاهد ذلك ما جاء في الحديث: "كان ﷺ ينادي أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) بترخيم اسمها وكثي تحبها" وكان يقول لها: "يا عائش، يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام" (متفق عليه). وكان يقول لها: "يا حميراء". (السلسلة الصحيحة: 818/7).

وكان الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ينادي زوجة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) قائلاً: "يا ابنة الأكرمين"، تقديراً لها ورفعاً لشأنها وآل بيتها.

هنا يخاطب ﷺ المجادلة ويقول لها: "يا خويلة"، إشعاراً لها بأنها ذات قيمة ومكانة عنده، وهو تصغير يشتمل على الملحة والشفقة، والعطف لحالها، استرضاء لها، وتخفيفاً لما ألمّ بها من كرب وحزن.

يبرز المحتوى التربوي في هذا الموقف، من أن الخطاب في أثناء القيام بدور إصلاح ذات البين، وترميم وإعادة العلاقة الزوجية إلى طبيعتها؛ ينبغي أن يكون خطاباً رقيقاً، وأن تكون مناداة المخاطب بأحب الألفاظ إليه، كما ورد في الحالة هذه التي كان قوله ﷺ: "يا خويلة" بتصغير اسمها، يمثل نداءً هادئاً لها؛ لتستمع إلى النصح، وتصغي إلى داعي التوافق والتعقل.

يهيئ رسول الله ﷺ البيئة النفسية لحواره مع خولة بقوله: "يا خويلة"، ويلجأ إلى دفعها لقبول مبدأ التصالح، والعفو، ويمهد للوصول إلى الهدف بذكر ما بينها وبين زوجها من علاقة اجتماعية وثيقة فيقول لها: "ابن عمك". صاحب علاقة الدم، والرحم، ورابطة القرى اللصيقة القوية بك. فيذكرها بولاء الأهل، ويستدعي حمية الرهط لما لها من مكانة وأثر توافقي ونفسي كبيرين عند كل إنسان، وما للتذكير

(1) مناهج وأداب الصحابة في التعلّم والتّعليم، عبد الرحمن البر، دار اليقين، المنصورة، ط1، 1999م، ص85.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

بها من دور مهم في تهدئة خاطر، ومحاصرة حالات النفور، والنزوع إلى حدة الانفعال، والتشفي، والانتقام؛ لأنه ﷺ يدرك دور ذلك؛ فهو يستعين بذكر هذه العلاقة التي تربط بين خولة وزوجها لتخفيف وطأة ما تشعر به من مظلمة ومهانة. ولترضى بالعودة إلى عشها الزوجي الذي يضمها وصاحبها وبنيتها.

بإشارته ﷺ إلى هذه العلاقة الاجتماعية واستخدامه لها في هذا الموقف الإصلاحي كأنه ﷺ يوجه من يقومون بأدوار المصالحات الأسرية، أو أي ضرب من ضروب التدخل الحكيم لإصلاح ذات البين؛ أن يستعينوا بنهجه التربوي هذا في التذكير بعلاقات الأرحام والعشيرة، أو أي علاقات أخرى إنسانية أو عقدية، أو غيرها من شأنها أن تلعب دوراً في تقريب شقة الخلاف بين المتخاصمين، أيّاً كان نوعها، أو درجة صعوبتها وتعقيدها، وهو مفهوم تربوي مهم لذوي الاختصاص ممن يهتمون بالتوفيق بين المتنازعين.

بعد قوله ﷺ: "يا خويلة ابن عمك"، يردف قائلاً: "شيخ كبير". مما يعني أنه يستحق العطف، والرفق، والمعاملة الحسنة، وتجب مراعاة وتحمل تبعات شيخوخته، وضعفه، وكبر سنه، وظرفه النفسي، والإنفعالي، ولهذا وغيره لا بدّ من إيجاد العذر له، والتجاوز عن عثراته. وهذا بالتأكيد مفهوم تربوي يتضمن قيمة أخلاقية اجتماعية وإنسانية ذات علاقة وطيدة بكيفية معاملة من يتقدم بهم العمر، وتتطاول سنوات عيشهم في الحياة.

كذلك يتضح المضمون التربوي بإشارة الرسول ﷺ لخولة بأن أوسا زوجها "شيخ كبير"، وهو أن الفرد الأصغر سناً عليه احترام الأكبر منه سناً، ويقتضي ذلك التعامل معه بلطف ورقة وحذر؛ زوجاً كان أو غيره من أفراد المجتمع الذي يعيش في كنفه.

يختتم الرسول ﷺ عبارته السابقة بقوله: "فاتق الله فيه". فيوجهها بالالتزام بقيمة ذات مضمون روحاني ديني شامل، وتربوي مهم، وهي الالتزام بتقوى الله، لأنها مخرج من كل عثرة ومشكل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ (الطلاق: 2). وهي معيار دقيق لطاعة الله في السر والعلن. وبما ينال العبد أرفع مكانة عند الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: 13).. ومن لوازم التقوى، الرضا، والحمد، والشكر لله لما قسم وأنعم. ومن لوازمها كمال الإيمان الذي يتطلب حسن الخلق واللطف بالأهل. قال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً، وأطفهم بأهله". - (أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح). - ولذا حث الرسول ﷺ خولة أن تتقي الله في زوجها وابن عمها الشيخ الكبير، الذي يستحق العناية والرعاية. وهو توجيه تربوي وحض نبوي كريم من واجب كل فرد من أفراد المجتمع أن يعمل، ويسترشد به في تربية الأبناء والأخذ به كمفهوم تربوي مهم لتنشئة الأجيال، وحسر منيع للنجاة والأمان من كل خطر. ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ (النمل: 53).

المبحث الخامس

المحتوى التربوي في قوله ﷺ لخولة: "قد أصبت وأحسننت، فأذهبي وتصدقي به عنه، ثم استوصي بابت عمك خيرا"

بعد انفراج الموقف، وبعد رضاها بحكم الله وأسهامها في حل النزاع، ونزول الوحي في أمرها وصاحبها؛ تبدلت حالتها النفسية، وهذا روعها، فأخذت تدافع عن زوجها، ووقفت إلى صفه تُناصح عنه، وطفقت تحكي أعذاره، وتذكر عدم مقدرته على الإيفاء بكفارة ظهاره منها قالت: فقلت والله يا رسول الله ما عنده ما يعشق، وحينما طلب منها أن يصوم زوجها شهرين متتابعين؛ حسبما جاء في حكم الله تعالى.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

قالت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام! ثمَّ عندما طرح الخيار الأخير بأن يتصدق على ستين مسكيناً قالت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يُسهم بنفسه في الحل، إذ لا بدَّ من كفارة، ولا بدَّ من الخضوع لأمر الله تعالى، فقال ﷺ: "فإنا سنعيه بفرق من تمر" - والفرق من الشيء جزء منه - فقالت: وأنا يا رسول الله، سأعيه بفرق آخر. وهنا جاءت الإشادة من رسول الله ﷺ على مشاركتها القيِّمة، ووقفها المشرِّفة في حل القضية قائلاً لها: "قد أصبت وأحسنت". ومعلوم أن من يحسن إنما يحسن لنفسه، كما جاء في التنزيل: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (الإسراء:7)، فأبلغها رسول الله ﷺ بأنها فعلت صواباً بمشاركتها المقدره هذه. وفي قوله ﷺ "قد أصبت وأحسنت"؛ بجانب الاستحسان والإشادة، يمكن القول بأن هناك غبطة وسرورا بدتا في نفسه ﷺ أدت إلى شكر، وتقدير، واعتبار خاص منه ﷺ لموقفها الإيجابي، وإسهامها الكبير، واستعدادها بتقديم مساعدة لزوجها بفرق آخر؛ لإعانتته في كفارة ما بدر منه.

بعد انتهاء الأمر على الوجه الأمثل؛ بالخضوع إلى أمر الله، والإشادة من رسوله ﷺ على ما بدر منها من قبول ومشاركة في الوصول إلى حل؛ أوصاها رسول الله ﷺ وصية غالية تحفظ لها وُدَّها، وسكيتها الزوجية مع صاحبها، فقال ﷺ: "استوصي بآبن عمك خيراً". (ابن عمك) في مبتدأ حديثه معها حيث المشكلة ماثلة، والبحث عن حل لها قائم؛ وهنا (ابن عمك) مرة أخرى، حيث الأمر قد اتضحت مآلاته، وجاء التنزيل من السماء بشأنه، والتكرار - هنا - لصلة القرابة يُعزِّد المفهوم التربوي للعناية باستخدام تلك الصلة في الإصلاح بين الناس. وبعد هذه الوصية الجامعة التي اشتملت على مضمون تربوي ومفهوم إنساني بأهمية المعاملة الحسنة لابن العم؛ صاحب القرابة الوثيقة، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يجتهد حديثه معها بحثها على أن تستوصي به خيراً، وتعامله معاملة طيبة؛ تؤدي إلى تقوية الروابط الأسرية بينهما. والخيرية التي أشار إليها وأوصى بها رسول الله ﷺ خولة، تتطلب ضبط النفس عند الغضب، والتعامل مع القرين بأخلاق رفيعة، وكلام هادئ، وأسلوب رزين؛ يلائم ترسيخ علاقة التوافق النفسي بينهما، ويساعد على القيام بالدور الأسري كاملاً؛ لتنتج عنه علاقة زوجية ناجحة. كما أن الخيرية تستلزم إحاطة الزوج بالعناية؛ وإسباغ العطف، والمحبة، والحنان عليه، وتجنب الصراع معه، وعدم التحدي، والعناد (والمراجعة)، وما إلى ذلك مما يشير إليه قوله ﷺ: (استوصي بآبن عمك خيراً).

تنتهي القصة بهذه الوصية الغالية التي تحفظ الكيان الأسري لخولة (رضي الله عنها) ولكل كيان أسري آخر؛ لينعكس ذلك على المجتمع كله ترسيخاً لقيمه الدينية التربوية، وتقويةً لمكوناته الاجتماعية وخلاياه الأولية، وتأتي أبرز المضامين التربوية التي وردت في نهاية هذا المبحث وهي:

إن الله سبحانه وتعالى يقضي حاجة من يشكو إليه بصدق، ويتوكل عليه بحق، كما فعلت خولة حين تعلق قلبها بالله فنصرها، لأنه تعالى ألطف بعباده من أن يرى خاطر عبد من عباده مكسوراً ولا ينصره، وهو القائل: (من يتوكل على الله فهو حسبه) (الطلاق:3). وتنزل آيات صدر سورة المجادلة لتضع حداً لهذه العادة أو الظاهرة الاجتماعية الجاهلية القديمة؛ لترسي أمر رانبا واضحا لمن يتجرأ على ممارستها، ويُطلق عبارتها في وجه زوجته.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

الخاتمة:

تبدأ قصة خولة بنت ثعلبة التي حكمتها عن ظهار زوجها منها بخصام ومراجعة وأخذ ورد؛ أدّى إلى امتناعها عن تلبية رغبته في ملامستها، وقضاء وطره منها، وخرجت غاضبةً فرعةً بحجة أن ما بدر منه لا بدّ أن يُعرض على الرسول ﷺ ليحكم فيه. قائلةً له: كلاً والذي نفسُ خويلةً بيده لا تخلصُ إليّ، وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

ذهبت إلى رسول الله ﷺ في داره بعد أن استعانت بإحدى جارئاتها، واستعارت منها ثوباً تستترُّ به، وشكت إليه ﷺ ما حدث لها من زوجها، وحوارث وجادلت، والرسول ﷺ يستمعُ إليها بتواضعٍ وصبرٍ وأناة، ويشيها عن موقفها، وهي تريد حلاً ناجعاً؛ فإذا برَّب السماء الذي لا تخفى عليه خافية؛ يسمعُ حوارها مع رسول الله ﷺ، فتنزّل في شأنها أربع آياتٍ في صدرِ سورة المجادلة: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾، ويقضي حكمه تعالى أن الظهار منكرٌ من القول وزور، ولا بدّ لمن يقولُ به أن يعتق، أو يصوم شهرين متتابعين، أو يُطعم ستين مسكيناً.

عقب نزول الآيات تتحوّل خولة بنت ثعلبة من خصمٍ لزوجها إلى مدافعةٍ تُنافح عن حاله، وترجو أن تُخفف عنه الكفارة، التي انتهت بدفع ما يكفي لإطعام ستين مسكيناً؛ مشاركةً بين الرسول ﷺ وبينها - من مالها الخاص - .

تنتهي القصة وقد اشتملت على مضامينٍ تربويّةٍ غالية، وهي ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائجٍ يجدرُ بكل فرد أن يتمثلها ويعيشها واقعاً في حياته، ويحرصُ على غرسها في نفوس الأبناء والشباب، وهي محتوياتٌ تربويّةٌ نافعة، يحتاجها المجتمعُ بكلِّ مكوناته؛ لمواجهة ما يحلُّ بأفراده من عوائق ومشكلاتٍ في مشوار حياتهم الزوجية.

نتائج الدراسة:

- 1- البعد عن ممارسة عادات وتقاليد ما قبل الإسلام، والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، يُساعدان على تماسك الأسرة واستقرار المجتمع.
- 2- أهميّة مراعاة الحالة النفسية، والاستعداد العاطفي والانفعالي للزوجة عندما يريدُها الزوجُ عن نفسها، مع مراعاة اختيار المكان المناسب، واللحظة المواتية لمثل هذا الطلب.
- 3- لضمان حفظ الأصرة الزوجية؛ على الزوج في تعامله الأسري مع زوجته أن يعي ما فطره الله عليه من جلدٍ، وثباتٍ، وما ميّزه به من عصمةٍ، وسرعة تراجعٍ وتنازل.
- 4- الزوجة لها الحقُّ في مراجعة زوجها - مناقشته ومحاورته - بالأسلوب الذي يروق لها، ويناسب الموقف، وليس له أن يُنكر ذلك عليها.
- 5- طرفا العلاقة الزوجية عليهما اختيار حكم الله تعالى ورسوله ﷺ باللجوء إلى ما قرره الشرع عند وقوع أي خلاف أسري.
- 6- حسن معاملة الجار، والوقوفُ معه في السراء والضراء، واجبٌ ديني وضرورة إنسانية، والحاجة إليه قد تحينُ في أي وقت من الأوقات.
- 7- الفرد السوي يتحلى بصفات الأدب، والزّانة، والموضوعية، في مواقف الحوار، والجدل؛ أثناء طرح مظلّمته أمام مُصلحٍ يطلبُ منه حلاً أو نصيحةً.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

- 8- التواضع، ولين الخطاب وسعة الصدر، سماتٌ نفسية تربوية إنسانية، تحتأجها شخصية الوسيط للقيام بإصلاح ذات البين.
- 9- تخفيف حالات الشعور بالحزن، والهم، تحتاج من المصلح أو المعالج إبداء التعاطف مع الشاكي، واسترضائه، ومخاطبته بأحَبِّ الأسماء إليه.
- 10- تتطلَّب شيخوخة الزوج، وكِبَرُ سنِّه مراعاة حالة ضَعْفه، وظَرْفه النفسي، وتجاوز عثراته.
- 11- الواجب الدِّيني الإنساني يقتضي احترام الفرد الكبير، ومعاملته بلطفٍ ورقة وحذر.
- 12- التذكير بتقوى الله عند فضِّ النزاع بين المتخاصمين يُقَرِّب شقَّة الخلاف بينهما.
- 13- يقضي الله سبحانه وتعالى حاجة من يشكو إليه بصدقٍ، ويتوكَّل عليه بحق.
- 14- يظلُّ العفوُّ، والصَّفْحُ من أوجب واجبات الزوجين إذا ما نشب خلافٌ بينهما.
- 15- من يتصدَّر القيامَ بإصلاح ذات البين عليه توخِّي الحكمة، والاستعداد للأسهام المادئ اللازم، والدَّفْع المعنوي المطلوب.
- 16- الزوجان عليهما احترام آصرة علاقة العشير، والرَّحم في حالي الرِّضا والغضب.
- 17- المصلح له أن يَستخدم صلة القرابة - إن وجدت - كوسيلة لتقريب شقَّة الخلاف بين الزوجين.

توصيات الدراسة:

- 1- التركيز والاهتمام من الموجهين التربويين، والمرشدين الاجتماعيين، والمدرسين والآباء والدعاة، والخطباء؛ على تنوير الشباب والناشئة من الأجيال الحالية؛ بضرورة التعفُّل والتأني والتحلي بالحكمة والحذر قبل اتخاذ أي قرار بالمفاصلة الزوجية، أو الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله تعالى.
- 2- الاهتمام بالجار ومعاملته بالحسنى والوقوف معه في السراء والضراء والاستعانة به في حالي الشدة وكشف الضر.
- 3- اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد والالاحاح في الدعاء وطلب الإعانة وقضاء الحوائج وإزالة العثرات.
- 4- تتبع الأحاديث النبوية، وقصص التراث الإسلامي، التي تتناول المعاملة الزوجية الراشدة، والتوافق الأسري، وإظهار ما فيها من محتويات تربوية؛ تؤدي إلى استقرار المجتمع، وتماسك مكوناته، وتجنبه حالات الصراع، والشقاق، والطلاق الذي أضحت أسباب وقوعه متعددة لدى الشباب والأجيال الناشئة.

مقترح دراسات مستقبلية:

- 1- مراجعة وإمعان النظر في الدراسة الحالية، واستنباط المزيد من المضامين التربوية من نصوصها وعباراتها على نسق ما ذكر.
- 2- إجراء دراسات علمية مماثلة للدراسة الحالية باختيار نصوص من القصص القرآني والحديث النبوي، وقصص صدر الإسلام، واستنباط مضامين تربوية من نصوصها وعباراتها، كقصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا؛ التي قصها الصحابي كعب بن مالك الأنصاري، وقصة حليلة السعدية، وصلح الحديبية، وفتح مكة، وغيرها.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

المصادر والمراجع

- 1- أساس البلاغة: الزمخشري، جاز الله، دار المعرفة، بيروت (د. ت).
- 2- الأسماء والصفات للبيهقي، (باب: مَا جَاءَ فِي إِبْنَاتِ صِفَةِ السَّمْعِ): أحمد بن الحسين بن علي. رقم الحديث: 389.
- 3- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني. ج1، المكتبة المصرية، ومعجم الصحابة لابن قانع 30/1.
- 4- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي. (تحقيق عبدالرحمن اللويحق)، مؤسسة الرسالة، 1419 هـ.
- 5- الرحيق المختوم: المبارك فوري. ط2، دار القلم، بيروت، (د. ت).
- 6- سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب الظهار: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. رقم الحديث: 2053.
- 7- سنن أبي داؤود، كتاب الأدب. رقم الحديث: 5152، وسنن الترمذي، كتاب البر والصلة. رقم الحديث: 1943.
- 8- السيرة النبوية: علي محمد الصلابي. مكتبة فياض، المنصورة، 2007م.
- 9- صحيح مسلم، كتاب الرضاع / 18 - باب الوصية بالنساء: أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم، حديث رقم 1469
- 10- الطبقات الكبرى: ابن سعد. (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- 11- القرآن الكريم وحاشيته، مفتاح فهم القرآن: أحمد علي الإمام. دار مصحف إفريقيا، الخرطوم، 2000م.
- 12- قصص القرآن الكريم: جاد المولى محمد أحمد (وآخرون). دار الفكر، (د. ت).
- 13- كلمات القرآن تفسير وبيان: حسين محمد مخلوف. دار المستقبل، بيروت، لبنان، 1956م.
- 14- مختصر تفسير ابن كثير: محمد الصابوني. ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402 هـ - 1981م.
- 15- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل. ج6، مؤسسة قرطبة، مصر، (ب. ت) رقم الحديث: 26056.
- 16- مسند البزار: أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. ج9، مكتب العلوم والحكم، 1424 هـ - 2003م، رقم الحديث: 206.
- 17- المعجم الوسيط: (إخراج الدكتور أنيس وآخرون). ج2، دار الفكر، (د. ت).
- 18- مناهج وآداب الصحابة في التعلّم والتّعليم: عبد الرحمن البر. ط1، دار اليقين، المنصورة، 1999م.

المضامين التربوية في قصة ظهار أوس من زوجته خولة (رضي الله عنهما)

د. إبراهيم الخضر الحسن - السودان

ملاحق القصة:

قصة ظهار أوس بن الصامت من خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها)

روى الإمام أحمد بن حنبل وغيره - رحمهم الله -، عن خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ (رضي الله عنها) قالت: (وَاللَّهِ فِيَّ وَفِي أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ، قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجَرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاغَعْتَهُ بِشَيْءٍ، فغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتَ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَنْ نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلَا، وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ. قَالَتْ: فَوَائِبِي، وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغَلَّبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَا خُوَيْلَةُ! ابْنِ عَمِّكَ، شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِيَ اللَّهَ فِيهِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ، فَتَغَشَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: "يَا خُوَيْلَةُ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ وَفِي صَاحِبِكَ". ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: 4)، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مُرِّيهِ فليعتق رقبته"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا يَعْتَقُ، قَالَ: "فليصم شهرين متتابعين"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: "فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر"، قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَاكَ عِنْدَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فإننا سنعينه بفرق من تمر"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَاعِينَهُ بِفَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: "قَدْ أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتِ، فَادْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بَابِنِ عَمِّكَ خَيْرًا"، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ.

قال ابن حجر بعد أن ذكر أن الحديث: "أخرجه أحمد وغيره، وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة، وتسميتها"⁽¹⁾.

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر. دار المعرفة، ج 13، بيروت، رقم 1379.